

تفسير البحر المحيط

@ 121 @ من أخلاق الجاهلين ، وضعف بأنه تعالى قد أمره بالصبر في آيات كثيرة ومع أمر
□ له بالصبر وبيان أنه خير يبعد أن يوصف بعد صبره بقلة الصبر . .
وقيل : لا يشتد حزنك لأجل كفرهم فتقارب حال الجاهل بأحكام □ وقدره ، وقد صرح بهذا في
قوله : { فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ } وقال قوم : جاز هذا الخطاب لأنه
لقربه من □ ومكانته عنده كان ذلك حملاً عليه كما يحمل العاقل على قريبه فوق ما يحمله
على الأجانب ، خشية عليه من تخصيص الإذلال . .
وقال مكي والمهدوي : الخطاب له والمراد به أمته ، وتمم هذا القول بأنه كان يحزنه
إصرار بعضهم على الكفر وحرمانهم ثمرات الإيمان . .
قال ابن عطية : وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ : انتهى . .
وقيل : الرسول معصوم من الجهل والشك بلا خلاف ، ولكن العصمة لا تمنع الامتحان بالأمر
والنهي ، أو لأن ضيق صدره وكثرة حزنه من الجبلات البشرية ، وهي لا ترفعها العصمة بدليل :
(اللهم إني بشر وإني أغضب كما يغضب البشر) الحديث . وقوله : (إنما أنا بشر فإذا
نسيت فذكروني) انتهى . .
والذي أختاره أن هذا الخطاب ليس للرسول ، وذلك أنه تعالى قال : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَمَعَهُمُ عَلَى الْهُدَى } فهذا إخبار وعقد كلي أنه لا يقع في الوجوه إلا ما شاء
وقوعه ، ولا يختص هذا الإخبار بهذا الخطاب بالرسول بل الرسول عالم بمضمون هذا الإخبار ،
فإنما ذلك للسامع فالخطاب والنهي في { فَلَا تَكُونَنَّ } للسامع دون الرسول فكأنه قيل
: ولو شاء □ أيها السامع الذي لا يعلم أن ما وقع في الوجود يمشيئة □ جمعهم على الهدى
لجمعهم عليه ، فلا تكونن أيها السامع من الجاهلين بأن ما شاء □ إيقاعه وقع ، وأن
الكائنات معذوقة بإرادته . .
2 ({ إِنَّ زَنْمًا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِن
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الرَّضَىٰ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ
وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءِ اللَّهُ يَجْعَلْهُ

عَلَي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ
 أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ
 يَدْعَاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا
 تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ
 بِالْأَيْدِي سَاءَ وَالضَّرَّاءَ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ
 بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ
 أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً
 فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ
 سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلهٍ غَيْرُ اللَّهِ
 يَأْتِيَكُم بِهِ إِنَّظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأُمُورَ ثُمَّ هُمْ يَصْذَفُونَ * قُلْ
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ
 إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ